السَّنة الحادية والتسعون بعد المئتين

فيها قُتل الحسين بن زكرويه صاحبُ الشَّامة.

وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتبِ الجيش، وعلى محمد بن إسحاق ابن كنداجيق، وأبي الأغرّ، وجماعةٍ من القوَّاد، وأمرهم بالسَّمع والطاعة لمحمد بن سليمان، وأمرهم بالمسير إلى دمشق؛ لقبض ما كان بيد هارون بن خمارويه من الأعمال؛ لأنَّه ضَعُف، وقَتَلَ القرمطيُّ رجاله، وكان عسكرُ المكتفي في عشرة آلاف.

وفيها زوَّج المكتفي ابنه أبا أحمد بابنة الوزير القاسم بن عبيد الله في جمادى [الأولى] بحضرة المكتفي، وخطب أبو عمر القاضي، وانصرف أبو أحمد بن الخليفة والقوَّاد والوجوه مع القاسم إلى داره في الشَّذا، فأقام عند القاسم، وخلع القاسم على أربع مئة إنسان الدِّيباجَ والخزَّ والوَشْي وغير ذلك، وحمل الأمراء أبا أحمد على سبعة وأربعين فرساً بسروجِ الذَّهب، وكان الصَّداق مبلغه مئة ألف دينار.

وفيها خرجت التُّرك إلى بلاد المسلمين في جيوش عظيمة، كان فيها سبع مئة قبَّة تركيَّة، ولا تكون القبَّة إلا للملك، فنادى إسماعيل بن أحمد في خُراسان وسجستان وطَبَرِستان: النَّفيرَ النَّفيرَ، وجهَّز رجلاً من قوَّاده في جيش كثيف، فوافى المسلمون التُّركَ وهم آمنون غارُّون[1] مع الصُّبح، فقتلوا منهم مَقتلةً عظيمة، وانهزم الباقون، وغنم المسلمون أموالَهم، وعادوا سالمين.

وفيها بعث صاحب الرُّوم عشرةَ صُلبان، تحت كلِّ صليب عشرةُ آلاف، فوصلوا إلى الحَدَث، فنَهبوا وقتلوا مَن قدروا عليه، وأحرقوا ورجعوا[2].

وفي رمضان مات أحمد بن محمد بن الفرات الكاتب، وقلَّد القاسم عليَّ بن محمد أخاه مكانه، وقال: ما غاب عنَّا من أخيك إلَّا عيناه.

---

(١) غارون: غافلون. اللسان (غرر).

(٢) تاريخ الطبري ١٠/ ١١٥-١١٦ ، والمنتظم ١٣/ ٢٣ ، والكامل ٧/ ٥٣٢-٥٣٣ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٣.

وفيها غزا غلام زرافة من طَرَسوس إلى الرُّوم، فوصل إلى أنطاكية قريباً من قسطنطينية، فأناخ عليها وقاتلها، ففتحها بالسَّيف عَنوة، وقتل فيها خمسة آلاف رجل، وأسر أضعافَهم، واستنقذ من أُسارى المسلمين أربعة آلاف إنسان، ووجد بساحلها ستِّين مَرْكباً، فحمَّلها ما غنم من الذَّهب والفضَّة والمتاع والرقيق، وأصاب سهم الفارس ألف دينار.

وفيها مات القاسم بن عُبيد الله الوزير، ودخل محمَّد بن سليمان دمشق بالعساكر، وكان بها بدر الحمامي فتلقاه، فقلَّده إياها، وسار محمد إلى الرَّملة.

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميُّ.

[فصل] وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل

أبو إسحاق، الخوَّاص، البغداديُّ.

أوحد زمانه في التوكُّل، صحب أبا عبد الله المغربي، وكان من أقران الجُنيد والثَّوريّ، وله في الرياضات والسِّياحات مقامات يطول شَرحُها، وأصله من سُرَّ من رأى، وإنَّما سكن الرّيَّ وأقام بها، ولم يكن خوَّاصاً، وإنما جرت له واقعةٌ سمِّي لها الخوَّاص.

قال[1]: فَتَرْتُ في بعض الأوقات، فكنت أخرج إلى ظاهر البلد، فأجلس على نهر وحوله خُوصٌ كثير، فخطر لي أن أعمل كلَّ يوم خمس قفاف وألقيها في النَّهر أتسلَّى بذلك، [وكأنَّي كنت مُطالَباً به، فجرى وقتي على ذلك أيَّاماً]، فخطر لي في بعض الأيام أن أمشي خلف القِفاف، وأنظرَ أين تذهب، فمشيتُ على جانب النَّهر ساعة، وإذا بعجوزٍ جالسة حزينة ـ ولم أكن عملتُ في ذلك اليوم شيئاً ـ فقلت: ما لي أراك حزينة؟ فقالت: أنا امرأةٌ أَرْمَلة، مات زوجي وترك خمس بنات، ولم يخلِّف لنا شيئاً،

(١) في (ف م١): ذكر الواقعة، حكاها الخطيب وغيره عن جعفر الخلدي عن إبراهيم الخواص. اهـ. والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٦ وليس فيه ذكر للخلدي. وانظر في ترجمة الخواص: الحلية ١٠/ ٣٢٥، وطبقات الصوفية ٢٨٤، والمنتظم ١٣/ ٢٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٠٦.

فأَخْرجُ كلَّ يوم، فأجلس على هذا النَّهر، فتأتي على رأس الماء خمس قِفاف، فأبيعُها فتقوَّت بها، واليوم ما جاءتني، وما أدري كيف أصنع؟ فرفعتُ رأسي إلى السماء وقلت: إلهي، لو علمتُ أنَّ لها خمسَ عِيال لزدتُ في العمل، ثمَّ أخذ العجوز إلى بيته، وأعطاها دراهم ودقيقاً وقال: كلَّما أردتِ شيئاً فتعالي فخذي ما يكفيكم.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى عنه جعفر الخُلْديُّ أنَّه] قال: أعرف سبعة عشر طريقاً إلى مكة، طريق منها ذهب، وأخرى فضة.

[ذكر قصَّته مع المريض:

حكى عنه ابن خميس في «المناقب»] قال: صَعِدتُ إلى جبل اللُّكام، فرأيت شجرة عليها رمَّان، فاشتهيتُه، فمددتُ يدي فأخذتُ رُمَّانة، فإذا هي حامضة، فرميتُ بها ومضيت، وإذا برجلٍ مَطروحٍ على قارعة الطَّريق، وقد اجتمع عليه زنابيرُ كثيرة وهي تلدغه، فسلَّمتُ عليه، فقال: وعليكم السلام يا إبراهيم، فقلتُ: كيف عرفتَ اسمي؟! فقال: مَنْ عرف الله لم يخْفَ عليه شيءٌ، فقلت: أرى لك مع الله حالاً، فلو سألتَه أن يَقيَك لَدْغ هذه الزَّنابير، فقال: إنَّ لَدْغ الزنابير أجدُ أَلَمَه في الدُّنيا، فهلَّا سألتَ الله أن يَقيَك لَدْغ شَهْوة الرُّمَّان الذي تجد ألمه في الآخرة؟ فتركتُه ومضيت.

[ذكر قصَّته مع الخضر عليه السلام:

حكى أبو عبد الرَّحمن السلميُّ قال: قيل للخواص:] حدِّثنا[1] بأعجبِ شيءٍ لقيتَ في أسفارك، قال: لقيني شابٌّ في بعض أسفاري، فوقع في خاطري أنَّه الخَضِرُ، فسألني الصُّحبةَ، فقلت: أخشى أن يتغيَّر عليَّ توكُّلي، لا حاجةَ لي في صُحبتك، قال: إن صدقتَ فمن أنا؟ قلت: الخضر، وفارقتُه.

[ذكر قصَّته مع الشاب:

حكى عنه السُّلميُّ أيضاً] قال: صَحبني شابٌّ حَسَنُ المراعاة لأوقاته، فقلت [له:]

---

(١) في (خ): وقيل له: حدثنا، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١)، ولم نقف عليه في طبقات الصوفية، وذكر هذا الخبر والذي يليه القشيري في رسالته ٣/ ٥٣، ٥٧.

لا تُطيق صُحبتي لأنِّي أجوع، قال: إن جعتَ جعتُ معك، فبقينا أربعة أيام لم يُفتَح علينا بشيء، ثمَّ فتح علينا فقلت له: هَلُمَّ فكُلْ، فقال: قد عَقدتُ مع الله عقداً أن لا أتناول بواسطة، فقلت: يا غلام، دققت، فقال: يا أبا إسحاق، لا تَتَبَهْرَج، فإنَّ الناقد بصير، مالك والتوكُّل، إنَّ أدنى أحواله أن تَرِدَ عليك مواردُ الفاقات، فلا تسمو نفسُك إلَّا إلى مَن له الكفايات، وفارقني.

[ذكر قصَّته مع الشيطان:

حكى السُّلميُّ عن إبراهيم] قال: كنتُ بالبادية فنمتُ على حجر، وإذا بشيطان قد رَفَسَني برجله وهي مثل الحربة[1]، فقال: أنت وليّ الله فمن أنت؟ قلت: إبراهيم الخوَّاص، قال: صدقت، ماضرَّتْك رجلي وقد يَبِست، ثمَّ قال: معي حلال وحرام؛ أمَّا الحلال فرُمَّان الجبل المباح، وأمَّا الحرام فمَرَرْتُ على صيَّادَين يصيدان السمك، فتخاونا، فأخذتُ التي تخاونا فيها، فكُلْ أنت الحلال ودع الحرام لي.

[ذكر قصَّته في صيد السمك:

حكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: طلبتُ الحلال، فخرجتُ إلى دجلة ومعي شَبكة، فجلستُ أصيد السَّمك، فوقعت في الشبكة سمكةٌ، فأخذتها، ثمَّ أخرى وأخرى، فهتف بي هاتف: لم تجد مَعاشاً إلَّا أن تأتي إلى مَن يذكرنا فتقتله؟! [قال:] فرميتُ الشَّبكة، وتبتُ إلى الله تعالى من الصَّيد[2].

[ذكر قصَّته مع الجن والشابِّ:

حكى ابن خَميس في «المناقب» عن إبراهيم] قال: حججتُ مرَّة مع أصحابي، فعارَضَني عارضٌ من سرِّي: خذ في غير الجادَّة، ففعلتُ، ومشيتُ ثلاثة أيام بلياليها في بَرِّيَّة خضراء، فيها من كلِّ الرَّياحين والثِّمار، وفي وسطها بُحيرةٌ ماؤها أطيبُ ماء وأعذبُه، فوقفتُ مفكِّراً في حُسنها، وإذا بنَفَرٍ قد حفُّوا بي، وعليهم المُرَقَّعاتُ الخِسان، فسلَّموا عليَّ، وسيماهم سيما الآدميين، ووقع لي أنَّهم من الجنِّ، فقلت: مَن أنتم؟ فقالوا: نحن من الجنّ الذين سمعوا من محمد ﷺ القرآنَ ليلة الجنِّ، فسَلَبَتْنَا نَغمةُ

(١) في (خ): الخرقة، والمثبت من (ف).

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٤٧١.

كلام الله جميعَ أمور الدُّنيا، وقد قيَّض الله لنا هذه البريَّة؛ نسيح بها، ونشرب من ماء هذه البحيرة، ونأكل من هذه الثمار.

قلت: فكم بيني وبين المكان الذي فارقتُ فيه أصحابي؟ فتبسَّم بعضُهم، وقال: يا أبا إسحاق، لله أسرار وعجائبُ، إنَّ هذا المكان الذي أنت فيه لم يَحضره آدميٌّ قبلك إلَّا شابٌّ من أصحابكم السيَّاحين، وصل إلى ها هنا فتوفِّي، وذاك قبرُه على شاطئ البحيرة وحوله رياحين، كنَّا ليلةً قعوداً على جانب البحيرة نتذاكر المحبَّة، فإذا بشابٍّ قد وقف علينا، فسلَّم، فرددنا عليه السلام، وقلنا: مِن أين؟ قال: من نَيْسابور، قلنا: ومتى خرجتَ منها؟ قال: منذ سبعة أيام، أزعَجتْني آية وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر: ٥٤] قال: فقلنا [له:] فما معنى الإنابةِ والتسليم والعذاب؟ فقال: أمَّا الإنابة: أن ترجع منك إليه[١]، وأمَّا التسليم: فالاستسلام له، وأمَّا العذاب: فعذاب الفراق، ثمَّ صاح ومات، فوارَيْناه.

قال إبراهيم: فقمتُ إلى قبره وإذا عند رأسه طاقَةُ نَرْجِس كأنَّها رَحَى [عظيمة] وعلى القبر مكتوب: هذا حبيب الله قَتيلُ العَبْرة[٢]، وعلى وَرَقةٍ منها مكتوب: هذه صفةُ الإنابة، فسألوني أن أفسِّر لهم ما على ورقة النَّرْجِس مكتوب، ففسَّرتُه، فوقع الطَّرب فيهم، فأُلقي عليَّ النُّعاس، فنمتُ، وانتبهتُ وإذا أنا قريبٌ من مسجد عائشة رضي الله عنها، وإذا في وِطائي طاقةُ نَرْجِس أو رَيْحان، فبقيتْ معي سنة لم تتغيَّر، ثمَّ فقدتُها.

[ذكر قصَّته مع الشاب وأخته:

حكاها عنه في «المناقب» أيضاً] قال: تهتُ في البادية عن الطريق ـ وكانت ليلةً مُقمرة ـ فلَجَجتُ في البريَّة، وإذا بصوتٍ ضعيف يقول: إليَّ يا أبا إسحاق إليَّ، فإنِّي سألتُ الله أن يُحضِر وفاتي وليًّا من أولياء الله[٣]، وأرجو أن يكون قد فعل.

[قال:] فجئتُ إليه، وإذا بشابٍّ من أحسن الشباب، مَطروحٍ وحوله رياحين كثيرة، فسلَّمتُ عليه فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، فقلت: من أين أنت؟ فقال: من شِمْشاط، كنتُ بين أهلي في عزٍّ ورفاهيةِ عيش، فخطر بقلبي السَّفَر، فخرجتُ، وقد

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٤٧٩: أن يرجع بك إليه.

(٢) في مناقب الأبرار: الغيرة.

(٣) في (ف م١): أن يحضر وقت وفاتي ولياً من أوليائه، والمثبت من (خ).

وقعتُ هاهنا، قلت: ألك أهل؟ فقال: نعم، والدان وإخوة وأخوات، قلت: فهل خطروا في سرِّك؟ قال: لا إلَّا اليوم، لمَّا أيقنتُ بالموت أحببتُ أن أشمَّهم، ولي أختٌ صالحة أحب أن أشمَّها، وهذه الرَّياحين التي حولي جاء بها إليَّ الوحوشُ وبكوا عندي.

قال إبراهيم: فتحيَّرت في أمره[1]، ووقع الشابُّ على سرِّي، وإذا بحيَّةٍ عظيمة قد أقبلت، وفي فيها طاقةُ نَرْجِس دورها ثلاثة أذرع، فنطقت الحيَّة وقالت: يا إبراهيم، اعدِلْ بسرِّك عن الشابِّ فإنَّ الحقَّ غَيور، فصحت صيحة [عظيمة] وغُشي عليَّ، فما أفقتُ إلَّا والشابُّ قد قضى، قلت: كيف أعمل؟ [مالي] مَن يساعدني عليه، وأين الماء [وأين] الكَفَن؟ فأُلقي عليَّ النُّعاس، فما أفَقْتُ إلا بحرِّ الشمس، وإذا بي على الجادَّة.

فلمَّا قضيتُ الحجَّ ورجعت قلت: لابدَّ من المضيِّ إلى شِمْشاط، والسؤالِ عن الشابِّ وأهلِه، [قال:] فمضيتُ إليها، فلمَّا بلغتُ إلى المصلَّى إذا بنسوة عليهنَّ المرقَّعات قد أقْبَلْنَ، وبينهنَّ امرأةٌ أشبهُ النَّاس بالشابِّ، فنادتني: يا أبا إسحاق، أنا في انتظارك منذ أيام، حدِّثني حديثَ أخي وقُرَّةِ عيني وثمرةِ فؤادي، فحدَّثتُها حديثَه، فلمَّا بلغتُ إلى قوله: أريد أن أشَمَّهم، قالت: هاه، بلغ الشمّ الشمّ، ثمَّ وقعت ميتة، فقلن النِّساءُ: جزاك الله عنها خيراً، فلقد أرَحْتَها ممَّا كانت فيه، وكان هناك رِباط فيه نساء، فخَرَجْنَ فوَلين أمرَها، ولم يبق في البلد أحدٌ إلَّا شهد جنازتها[2]، ثمَّ أقمتُ عند قبرها شهراً وانصرفت.

[حديث إبراهيم مع الحيَّات:

حكى ابن باكويه عن] حامد الأسود قال: خرجتُ[3] مع إبراهيم في سفر، فجئنا إلى موضع فيه حيَّات كثيرة، فجلسنا، فلمَّا بَرَد الهواء في الليل خرجت الحيَّات، فخفت [منها]، فقال [لي] إبراهيم: لا تَخَف واذكر الله، فذكرتُ، فذهبت الحيَّات، ثمَّ عادت

(١) في (ف م١): أمري.

(٢) في (خ): شهدها، والمثبت من (ف) و(م١).

(٣) في (خ): وقال حامد الأسود: خرجت، والمثبت من (ف م١). وهذا الخبر ذكره القشيري في رسالته ٣/ ١٦٤-١٦٥.

فقال: اذكر الله تعالى، فذكرتُ، فما زلنا كذلك إلى الصَّباح، وقمنا نمشي، وإذا بحيَّة عظيمة قد سقطت من وطائه، وقد تطوَّقت [به]، فقلت له: أما علمتَ بها؟ فقال: والله منذ زمان ما نمتُ أطيبَ من الليلة.

وقال حامد: خرجتُ معه في سفر، فنزلنا تحت شجرة، فجاء السَّبُع، فهربتُ منه وصَعدتُ إلى الشجرة، وبات السبع يشمُّ إبراهيم من قَرْنه إلى قدمه إلى الصَّباح، ومشينا، فأتينا آخر النهار إلى قرية، فدخلنا مَسجدَها، فوقع في الليل على وجهه بقَّةٌ، فانزعج منها، فقلتُ له: ما هذا؟! فقال: تلك حال كنتُ فيها مع الله، وهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

[حديث إبراهيم مع العقرب:

حكى ابن جَهْضم عن] المزيّن [قال:] كنتُ[1] عند إبراهيم، فدبَّت عقرب، فجعلت تلسعه في فخذه وهو صابر، فقمتُ لأقتلها فقال: دعها، كلُّ شيءٍ مُفْتَقر إلينا، ولسنا مُفْتَقرين إلى شيء.

[ذكر قصته مع النَّصْراني:

حكى أبو نعيم وغيره عنه] قال: دخلت[2] البادية، فصحبني رجل على وسطه زنَّار، فقلتُ: مَن أنت؟ قال: نصرانيّ أُريد صحبتَك، فمشينا سبعة أيام لم نأكل شيئاً، فقال: يا راهب الحنيفية، هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا، فقلت: يا إلهي، لا تَفْضَحْني مع هذا الكافر، وإذا بطبق عليه خُبزٌ وشواء، ورُطَب وكوز ماء، فأكلنا.

ومشينا سبعة أيام، فقلت: يا راهب النصرانية، هات ما عندك من الانبساط فقد [جعنا، وقد] وصلتْ إليك النَّوبة، فاتَّكأ على عصاه ودعا، وإذا بطَبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي، فتحيَّرتُ، وأبَيْتُ أن آكل، فألحَّ عليَّ وقال: كُلْ، فلم أفعل، فقال: طِبْ نفساً فإنِّي مُبشِّرُك بِبِشارتين؛ إحداهما: أنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، والثانية: أنِّي قلت: اللهم إن كان لهذا العبد عندك خطر فافتح علينا

(١) في (خ): وقال المزين كنت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٤/ ٢٧ .

(٢) في (خ): وقال إبراهيم دخلت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٤/ ١٧٣ .

بطَبَقَين، فهذا ببركتك، فأكلنا، وأحرم الرجلُ ودخل مكَّة مُحرِماً، فجاور معي سنة، وتوفِّي، فدفنتُه بالمعلَّى.

[حديث إبراهيم مع العجوز:

حكى ابن باكويه عن إبراهيم] قال: دخلتُ البادية[1] مرَّة، فنالتني فاقة شديدة، فلمَّا دخلت مكَّة دخلني إعجاب، فنادتني عجوز: يا إبراهيم، لا تعجب بنفسك فأنا كنتُ رفيقتك في البادية، ولم أكلِّمك خوفاً أن أُشغل سرَّك، فأخرِجْ عنك هذا الخاطر.

[حديث إبراهيم مع الفارس:

حكى الكتَّاني عن إبراهيم] قال: خرجتُ إلى الحجاز، فمشيتُ أيَّاماً، فعَطِشتُ وسقطت من العطش، وإذا بماء قد رُشَّ على وجهي، ففتحتُ عيني، وإذا بفارسٍ على فَرَسٍ أشهب، حسنِ الوجه، طيِّب الرائحة، فسقاني شَربةَ ماء، وقال: قمْ، فمشيتُ خطوات وإذا بالنَّخْل، فقال: هذه المدينة، اقرأ على رسول الله ﷺ منِّي السلام، وقل له: الخضر يقرِئك السلام.

[حديث إبراهيم مع السَّبُع:

حكى الكتاني عن إبراهيم] قال: رأيتُ في البادية شجرةً تحتها عينُ ماء، فجلستُ تحتها، وإذا بسَبُعٍ عظيم قد أقبل، فاستسلمتُ، فلمَّا قرب منِّي إذا به يعرج، فبرك بين يديَّ، ووضع يديه في حجري، وإذا هي مُنتَفخةٌ فيها قيح ودم، فأخذت عوداً، وشققت المكان، فخرجتْ منه شوكة، وسال ما كان فيها من الدَّم والقيح، وربطتُه بخرقة، فمضى وغاب ساعة، وعاد ومعه شِبلان يُبَصْبِصان، فألقى إليَّ رغيفاً ومضى[2].

[حديث المَشْعَل:

حكى ابن باكويه قال:] سألت امرأةٌ إبراهيم عن تغيُّرٍ وجدتْه في نفسها، فقال [لها]: تَفقَّدي، قالت: قد تفقَّدتُ[3] فما وجدتُ شيئاً، فقال لها: ولا ليلة المشعل؟ فقالت: الله أكبر، كنتُ أغزِلُ ليلةً فوق السطح، فانقطع خيطي، فمرَّ بي مشعلُ السلطان،

(١) في (خ): وقال دخلت البادية، والمثبت من (ف م١)، والخبر في الرسالة القشيرية ٣/ ١٨٤.

(٢) الرسالة القشيرية ٤/ ١٨٥-١٨٦، وما سلف بين معكوفين من (ف) و(م١).

(٣) في النسخ: افتقدت، والمثبت من صفة الصفوة ١/ ٥٣١.

فغزلت في ضوئه خيطاً، ثمَّ نسجتُ الغزلَ ولبستُه قميصاً، وهو عليَّ [قائم]، ثمَّ قامت وخلعت القميص وقالت: إن أنا بعتُه وتصدَّقتُ بثمنه هل يرجع قلبي إلى الصَّفاء؟ قال: إن شاء الله تعالى.

[حديث إبراهيم مع الذي رآه يزحف:

حكى ابن باكويه عنه أنَّه قال:] رأيتُ[1] في البادية رجلاً يزحف زحفاً، فقلت له: من أين؟ فقال: من بخارى، ثمَّ رأيته في الطَّواف وهو يطوف زحفاً، فعجبت [منه]، فناداني: يا إبراهيم، أتعجب من قويٍّ يحمل ضعيفاً؟ قلت: لا يا حبيبي[2]: [من الطويل]

نعمْ تحمل الأشواقُ والعِيْسُ ظُلَّعٌ ... ويمشي الهوى والنَّاقلاتُ قُعودُ

[حديث إبراهيم مع الكلب:

حكى ابن جَهْضَم قال:] كان إبراهيم جالساً في مسجده بالرّيِّ، فسمع صوت الملاهي من بعض دور الجيران، فانزعج، وقام فخرج يقصد الدَّار التي سمع منها الصَّوت، فلمَّا بلغ طرف الزّقاق وثب عليه كلبٌ ونَبح عليه، فرجع [إبراهيم] إلى المسجد، وفكَّر ساعة، ثمَّ عاد وخرج، فقام الكلب إليه[3] وبَصْبَص بين يديه، فلمَّا وصل إلى باب الدَّار خرج منها شابٌّ، وقال: يا سيدي، كنتَ أرسلتَ بعض أصحابك ولا انزعجتَ، فبلِّغَ لك ما تريد، وتاب الشابُّ، وكسر الملاهي وتعبَّد، فسُئل إبراهيم عن سبب رجوعه وخروجه ثانياً فقال: كان بيني وبين الله عقد ولم أنتبه. فنبح عليَّ الكلب أوَّل مرَّة، فلمَّا عدتُ إلى المسجد ذكرتُه فاستغفرت الله منه، ثمَّ خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كلُّ من خرج إلى إقامة معروف أو تغيير منكر فتحرَّك عليه شيء من المخلوقات، فسببُه فساد عقدٍ بينه وبين الله تعالى، فإذا وقع الأمر على الصِّحَّة لم يتحرَّك عليك شيء، وكان الأمر على ما شاهدتموه.

---

(١) في (خ): وقال إبراهيم رأيت، والمثبت من (ف م١).

(٢) بعدها في (ف م١): فنشد هاهنا.

(٣) في (خ): عليه الكلب، والمثبت وما بين معكوفين من (ف) و(م١).

[حديث إبراهيم مع الأعرابي:

حكى السلمي عن إبراهيم قال:] دخلت[١] البادية على التوكُّل، فإذا بهاتفٍ، فالتفتُّ، وإذا به أعرابي، فقال: يا إبراهيم، أنت تدَّعي التوكُّل، أقم عندنا حتَّى تصحَّ دعواك في توكُّلك، أما علمتَ أنَّ رجاءك لدخولك بلداً فيه أطعمة تحملك[٢]؟ اقطع رجاءك عن البلدان وتوكَّل.

ذكر نبذة من كلامه:

حكوه في «المناقب» وغيرها؛ حكى السلمي عنه أنَّه قال[٣]: مَن لم تبكِ الدُّنيا عليه لم تضحك الآخرةُ إليه[٤].

قال: المُتاجِر بغير رأس ماله مُفْلِس، والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل، والفقير في خَلَقَانه أحسن منه في جديد غيره.

وقال: ما هالَني شيءٌ إلا ركبتُه.

وقال: مَن ترك شَهوةً فلم يجد عوضَها في قلبه فهو كاذب في تركها.

وقال: المريد الصَّادقُ اللهُ تعالى مرادُه، والصِّدِّيقون إخوانُه، والخلوة بيتُه، والوحدة أُنْسُه، والنَّهار غمُّه، والليل سروره، والقرآن دليله، والبكاء [راحته]، والجوع إدامُه، والأيام مراحِلُه، والوَرَع طريقه، والزُّهدُ قَرينُه، والصبر شِعارُه، والرضى دِثارُه، والصِّدق مطيَّتُه، والعبادة مركبُه.

وقال: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يُلبسه الله من عزِّه، ويُقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين.

وقال: الفقر رداء المتقين، وجِلباب المرسَلين، ولباس المؤمنين، وجَمال العابدين، وسرور الزَّاهدين، ولذَّة الصَّابرين، ورأس مال الصِّدِّيقين، وغنيمةُ العارفين، وحصنُ المتَّقين.

---

(١) في (خ): وقال إبراهيم دخلت، والمثبت من (ف) و(م١).

(٢) قال الشيخ العروسي في شرحه للرسالة القشيرية ٣/ ٥٠ : تحملك، أي: على الإقامة فيه.

(٣) في (خ): ومن كلامه قال، والمثبت من (ف م١).

(٤) مناقب الأبرار ١/ ٤٦٧.

[وحكى السلمي أنَّه][1] كان جالساً يتكلَّم، فنزلت عليه الشمس في يوم حارٍّ، فقيل له: ألا تنتقل للفيء؟ فقال: [من الوافر]

لقد وَضَح السَّبيلُ إليك قَصْداً ... فما أحدٌ أرادك يَستدلُّ
فإن وَرَدَ الشتاءُ فأنت صيفٌ ... وإنْ وَردَ المَصيفُ فأنت ظِلُّ

وقال السُّلَمي: ومن محاسن شعره أيضاً: [من الطويل]

صَبرتُ على بعض الأذى خوفَ كلِّه ... ودافعتُ عن نفسي بنفسي فعزَّتِ
وجرَّعتُها المكروهَ حتَّى تدرَّبَتْ ... ولو جملةً جرَّعتُها لاشمأزَّتِ
ألا رُبَّ ذُلٍّ ساق للنَّاس عزَّةً ... ويا رُبَّ نفسٍ بالتعزُّز ذَلَّتِ
إذا ما مَدَدْتُ الكفَّ ألتمسُ الغنى ... إلى غير مَن قال اسألوني فشَلَّتِ[2]

ذكر وفاته رحمة الله عليه:

[حكى السلميُّ عن] يوسف بن الحسين الرَّازي قال: مرض[3] بعلَّة القيام في جامع الريِّ، فكان كلَّما دخل إلى السّقاية يغتسل ويتوضَّأ، ويصلِّي ركعتين، فدخل مرَّة ليغتسل فخرجت روحُه وهو في وسط الماء، فغسَّلتُه، وكفَّنتُه، وصلَّيتُ عليه، ودفنتُه، وكان يوماً عظيماً، وقيل: إنَّه مات سنة إحدى وتسعين ومئتين.

[وحكى السلمي عن] الكتَّاني قال: رأيت[4] في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، فأوَّل مَن خرج من عند الله أبو جعفر الدِّينوري، وكتابُه بيمينه وهو يضحك، ثمَّ خرج إبراهيم الخوَّاص، وكتابُه بيمينه وهو يدرُس القرآن رحمة الله عليه.

[وفيها توفي]

---

(١) في طبقات الصوفية ٢٨٤-٢٨٥، ومابين معكوفين من (ف) و(م١).

(٢) ينظر الرسالة القشيرية ٢/ ١٣٢، ٣/ ٢٩، وصفة الصفوة ٤/ ١٠١ والتدوين في أخبار قزوين ٢/ ٩٩-١٠٠، وطبقات الشعراني ١/ ٨٤.

(٣) في (خ): وقال يوسف بن الحسين مرض، والمثبت من (ف) و(م١) والخبر في طبقات الصوفية ٢٨٤.

(٤) في (خ): وقال الكتاني رأيت، والمثبت من (ف) و(م١)، والكلام في تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٧، وصفة الصفوة ٤/ ٧٩.

أحمد بن يحيى

ابن زيد بن سيَّار[١]، أبو العباس، الشَّيباني مولاهم، ثَعْلب النَّحْويُّ، إمام أهل الكوفة.

ولد سنة مئتين، [ولم يبلغ خمساً وعشرين سنة إلَّا وهو أوحد أهل زمانه.

وكان إماماً في اللغة والنحو، وهو مصنف كتاب «الفصيح» وغيره].

و[حكى الخطيب عنه أنَّه] قال: ما بلغت خمساً وعشرين سنة حتَّى أتقنت كتب الفرَّاء، فلم يبق منها مسألة إلَّا وقد عرفتها[٢].

[قال:] وقال محمد بن عبد الرَّحمن الزُّهريُّ: كان بيني وبين أبي العبَّاس مودَّة أكيدة، فجئت أستشيره في الانتقال من المحلَّة لتأذّيي بالجيران، فقال لي: أبا محمد[٣]، صَبرُك على أذى مَن يعرفك وتعرفه خيرٌ لك من استحداث مَن لا تعرفه.

و[حكى الخطيب عن] أبي بكر بن مجاهد قال: دخلتُ[٤] على ثعلب، فقال لي: يا أبا بكر، اشتغلَ أهلُ القرآن بالقرآن ففازوا، وأهلُ الحديث بالحديث ففازوا، وأهلُ الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلتُ أنا بزيد وعمرو، فليت شِعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ قال ابن مجاهد: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام في تلك الليلة، فقال لي: يا ابن مجاهد، اقرأ على أبي العباس السلام عنِّي، وقل له: إنَّك صاحبُ العلم المستطيل؛ أراد أنَّ الكلام به يتَّصل ويستقيم، والخطاب به يكمل ويجمُل، وكلُّ العلوم مفتقرة إليه.

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ: بلغني أنَّ أبا العبَّاس كره الكلام في الاسم والمسمَّى، وقد كرهتُ ما كرهه أبو العبَّاس ورضيتُ به.

وقيل لإبراهيم الحربي: إنَّ ثعلباً مع فضله يلحن! فقال: قد كان أبو هريرة يكلِّم صبيانه بالنَّبَطيَّة.

---

(١) في النسخ: سنان، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٤٤٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٥. ووقع في المنتظم ١٣/ ٢٤: يسار!! وانظر السير ١٤/ ٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٠٠.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٤٨، ومابين معكوفين من (ف م١).

(٣) في (خ م١): فقال لي أبا عبد الله، وفي (ف): أبا العباس، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٠.

(٤) في (خ) وقال أبو بكر ابن مجاهد دخلت، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

[قال:] وقال ثعلب: دخلتُ على أحمد بن حنبل فقال لي: فيم تنظر؟ فقلت: في العربية، فقال: [من الطويل]

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يُغفل ما مضى ... ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيبُ
خَلَوْنا لَعَمر الله حتَّى تراكمت ... علينا ذنوبٌ بعدهنَّ ذنوبُ
ألا فلعلّ الله يَغفرُ ما مضى ... ويأذَنُ في توباتنا فنتوبُ

ذكر وفاته:

حكى الخطيب قال: مات ثعلب ببغداد[1] يوم السَّبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى [من هذه السنة]، ودُفن بمقابر باب الشام.

أسند عن جماعة منهم إبراهيم بن المنذر الحِزاميُّ وغيره، وروى عنه ابن الأنباري وغيرُه، وأدركه صَمَمٌ في آخر عمره.

[وقال الصولي:] خلّف ألفي دينار وأحداً وعشرين ألف درهم، وأملاكاً قيمتُها ثلاثة آلاف دينار، ولم يكن له وارث إلَّا ابن بنته فأخذ الجميع، وكانوا في ذلك الوقت يورِّثون ذوي الأرحام، واتَّفقوا على صدقه، وصلاحه، وأمانته، وثقته.

وكان يسمَّى فاروق النُّحاة لصدقه. ومن شعره: [من الوافر]

إذا ما شئت[2] أن تَبلو صديقاً ... فجرِّب ودَّه عند الدَّراهمْ
فعند طِلابها تبدو هَناتٌ ... وتُعرَفُ ثَمَّ أخلاقُ الأكارمْ

وله[3]: [من السريع]

بلَغتُ من عُمري ثمانينا ... وكنتُ لا آملُ خمسينا
فالحمدُ لله وشكراً له ... أن زاد لي عمري ثلاثينا

---

(١) في (خ): ذكر وفاته مات ببغداد، والمثبت من (ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/٤٥٦.

(٢) في (ف م١): قال الخطيب: كان يسمى فاروق النحاة لصدقه وقد روى له الخطيب أشعاراً فقال بإسناده إلى إسحاق بن أحمد الكاذي قال: أنشدنا ثعلب إذا ما شئت، والمثبت من (خ)، والأبيات التي رواها الكاذي عن ثعلب هي الآتية: بلغت من عمري ثمانينا، كما في تاريخ بغداد ٦/٤٥٦.

(٣) في (ف م١): وأنشد أيضاً.

فـــأســـأل الله بُـــلـــوغـــاً إلـــى مـــرضـــاتـــه آمـــيـــن آمـــيـــنـــا

قلت: وعلى ما ذكر من مولده ووفاته فقد عاش إحدى وتسعين سنة[١].

[وفيها توفي]

الحسين بن زكرويه القِرْمِطيُّ

[قد ذكرنا أنه استولى على الشام بعد أخيه،] ولمَّا قُتل أخوه أقاموه مقامه، فدعا إلى مثل ما كان يدعو إليه أخوه، فأجابه الأعراب وأهلُ البوادي، واشتدَّت شوكتُه، فجاء إلى دمشق، فصالحه أهلُها على مال دفعوه إليه، فانصرف عنهم إلى حمص، فتغلَّب عليها، وخُطب له على منابرها، وتسمَّى بالمهدي، ودخلها بعد أن أمَّنهم، ثمَّ سار إلى المعرَّة وحماة والثغور، فقتل أهلَها، وسبى النِّساءَ والأطفال، ثمَّ جاء إلى بَعْلَبَك فقتل عامَّة أهلها[٢]، ثمَّ صار إلى سَلَمْيَة، فحاربه أهلُها، ومنعوه الدُّخولَ إليهم، فوادعهم وأمَّنهم، ففتحوا له بابها، فدخلها، فبدأ ببني هاشم ممَّن كان بها، فقتلهم أجمعين، ثمَّ ثنّى بأهلها وبصبيان المكاتب والدَّوابِّ والبهائم، فما خرج منها وبها عين تَطْرِف، ثمَّ صار إلى القرى يقتل ويسبي.

قال أبو الحسن المتَطَبِّب: بينا أنا بباب المحوّل ببغداد إذ جاءتني[٣] امرأةٌ بعد ما قُتل الحسين بن زكرويه[٤]، فقالت: أريد أن تُعالج جراحةً في كَتِفي، فقلت: [أنا رجل كحّال، و] ها هنا امرأة تعالج الجراحات، فانتظري مجيئها [فالساعة تجيء، قال:] ورأيتُها مَكروبة، فسألتُها عن سبب جراحها فقالت: قصَّتي طويلة، فقلتُ: حدِّثيني فقالت: كان لي ابن فغاب عني مدَّة طويلة، وخلَّف عليَّ أخواتٍ له، فاحتجتُ، فقيل لي: هو بالرَّقَّة، فخرجت خلفَه فلم أجده، ووقعتُ في عسكر القرمطي، وإذا به فيهم، فرآني فعرفني وعرفتُه، فمضى بي إلى منزله، وسألني عن أخواته فأخبرتُه، ثمَّ قال: دعيني من هذا، أخبريني ما دينُك؟ فقلت له: أما تعرفُني؟! فقال: كلُّ ما كنَّا فيه باطل،

(١) في (ف م١) بعد هذا: انتهت ترجمته والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله.

(٢) بعدها في (ف م١): فلم يجد فيها إلا اليسير، وفي الطبري ١٠/ ١٠٠: حتى لم يبق منهم فيما قيل إلا اليسير.

(٣) في (ف م١): وحكي عن متطبب ببغداد بباب المحول يدعى أبا الحسن قال: جاءتني، والمثبت من (خ).

(٤) في الطبري ١٠/ ١٠٠: بعدما أدخل القرمطي صاحب الشامة وأصحابه بغداد.

والذي نحن عليه الآن هو الحقّ، فأعظمتُ ذلك، فخرج وتركني، وبعث إليَّ بلَحْم وقال: اطبُخيه، فلم أمسَّه، ثمَّ عاد فرآه بحاله فطبخه بنفسه، فبينا نحن كذلك إذا برجل يطرق الباب ويقول: عندكم امرأة تُحسِن أن تُصلح أمرَ النّساء؟ فقال ابني: قومي معي، [قالت:] فقمتُ، فأدخلني داراً، وإذا بامرأةٍ تَطلُق، فقعدتُ بين يديها وهي لا تكلِّمني، وجعلتُ أكلِّمُها وهي ساكتة، فقال لي الرجل: أصلحي أمْرَها ودعي كلامَها، فوَلَدت غلاماً، وأصلحتُ شأنَه، وجعلتُ أتلطَّف بها وأقول: يا هذه، قد وجب حقِّي عليك، فأخبريني مَن والدُ هذا الغلام؟ فقالت: تسألينى عن أبيه ليُعطيك شيئاً؟ فقلت: لا، ولكن أحبُّ أن أعلم خبرَك، فقالت: أنا امرأةٌ هاشميَّة، وإنَّ هؤلاء القوم أتونا؛ فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعاً، ثمَّ أخذني رئيسُهم، فأقمتُ عنده خمسةَ أيام، ثمَّ أخرجني، فدفعني إلى أصحابه وقال: طهِّروها، فأرادوا قتلي، وكان بين يديه قائد فقال: هَبْها لي، فوهبني له، فنازعه فيَّ ثلاثة وقالوا: تكون بيننا أربعتنا وإلَّا قتلناها، فقال القرمطيُّ: تكون لأربعتكم ـ [وكانت جميلة] ـ فأخذوني، وأنا مع أربعتهم، فما أدري هذا الولد ممَّن هو منهم؟

قالت: وجاء الأربعةُ فجعلتُ أهنِّيهم، فأعطاني كلُّ واحدٍ سَبيكةَ فضة فيها ألف درهم، وضاعف لي مقدَّمهم العطاء.

[قالت:] فقلتُ للمرأة: قد وجب حقِّي عليك، وأريد منك خلاصي ووصولي إلى بناتي سالمة، فقالت: قومي إلى رئيسهم وسَليه ذلك، قالت: فقمتُ إليه وقلت: قد وجب حقِّي عليك، وقد أغنيتَني عن غيرك، ولي بناتٌ ضِعاف فقراء، فإن أَذِنتَ لي أن أمضي وأحضرهنَّ إلى خِدمتِك حتَّى يخدِمْنك، قال: أوَتفعلين ذلك؟ قلت: نعم، فدعا قوماً من غلمانه وقال: اذهبوا معها حتَّى تبلغوا بها موضع كذا وكذا، ثمَّ ارجعوا.

[قالت:] فحملوني على دابَّة، ومضَوا بي مقدار عشرة فراسخ، وإذا بابني يَركض خلفَنا، فقال: [يا] فاعلة، وشَتَمني وضربني بالسَّيف، فمنعه القوم، ولَحِقني ذُبابُ السيف في كتفي فجرحني، ثمَّ طردوه عنِّي، وأبلغوني المأمن وعادوا.

[قالت:] فلمَّا قدم أمير المؤمنين المكتفي بالقرمطيِّ ومعه الأسارى، خرجتُ لأنظر إليهم، وإذا بابني راكب على جملٍ عليه بُرنُس وهو يبكي وهو فتًى شابّ، فقلت له: لا

خفَّف الله عنك ولا خلَّصك.

قال المتطبّب: فجمعتُ بينها وبين المرأة التي تُداوي الجَرحى، فأبصرت جُرحها، فقلت لها بعدما انصرفت: كيف حالُ جُرحِها؟ فقالت: ما أراها تنجو منه؛ لأنِّي وضعتُ يدي على الجرح وقلت لها: انفخي فنفخت، فخرج الريحُ من جرحها من تحت يدي، ومضت المرأة فلم تَعُد إلينا [بعد ذلك اليوم.

فصل:] وفيها جهَّز المكتفي الجيوشَ لقتال الحسين بن زكرويه مع محمد بن سليمان الكاتب، وكان الحسين قد عاد من العراق إلى الشام، والمكتفي مقيم بالرَّقَّة، فالتقَوا بِتَمْنَع[١] بين حلب وحماة يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من المحرَّم، وكان القرمطيُّ قد قدَّم أصحابه وتخلَّف هو في جماعة منهم ومعه مالٌ، وجعل سوادَه وراءه، فالتحمت الحربُ بين القرمطيِّ ومحمد بن سليمان، فهزمهم محمد، وتفرَّقوا، وأَسر منهم خلقاً كثيراً.

فلمَّا رأى القرمطيُّ ما حلَّ بأصحابه حمَّل أخاً له مالاً، وأمره أن يلحق بالبادية؛ إلى أن يظهر في مكان فيصير إليه، وركب هو وابن عمّه المسمَّى بالمدَّثِّر، والمطوّق بالنور غلامه وكان روميًّا[٢]، وأخذ دليلاً، وسار يريد الكوفة عرضاً في البرِّيَّة، حتَّى انتهى إلى موضع على الفرات يُعرف بدالية ابن طَوق، فنفد ما كان معهم من الزَّاد والعَلَف، فوجَّه إلى الدَّالية رجلاً اشترى لهم منها زاداً وعَلَفاً، فأنكروا زيَّه، فأخذوه إلى والي المكان، فتهدَّده[٣] فأخبره أنَّ صاحب الشَّامة خَلْفَ رابيةٍ في ثلاث مئة نفر[٤]، فجاء الوالي، فأخذهم وحملهم إلى المكتفي بالرَّقَّة لأربع خلون من المحرَّم، وهو راكبٌ على جمل، وبين يديه المدَّثِّر والمطوَّق.

---

(١) هي قرية من بلاد المعرة على الطريق الآخذة من حماة إلى حلب. المختصر في أخبار البشر ١/ ١٨٨.

(٢) في الطبري ١٠/ ١٠٨، والكامل ٧/ ٥٣٠: والمطوق صاحبه وغلام له رومي.

(٣) في (ف م١): فتهددوه فذكر أنه ابتاع رقيق (كذا؟!) فصل وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله، وبهذا سقطت أحداث السنة (٢٩٢ هـ)، ووضع للسنة (٢٩٣ هـ) عنوان: السنة الثانية والتسعون بعد المئتين، ثم تتابع ترقيم السنين بعدها.

(٤) في الطبري ١٠/ ١٠٩، والكامل ٧/ ٥٣١: في ثلاثة نفر.

ثمَّ إنَّ المكتفي خلَّف عساكره بالرقَّة مع محمد بن سليمان، وشخص إلى بغداد في خواصِّه وغلمانه، ومعه القاسم بن عبيد الله الوزير، وجماعةٌ مِمَّن أسر، ودخل بغداد والقرمطيُّ وأصحابُه بين يديه على الجمال، والقرمطيُّ على فيل، وفي في المطوَّق خشبةٌ مَخروطة شبه اللِّجام؛ لأنَّه كان يشتم النَّاس، ثمَّ بنى لهم دكَّة عالية، ونُودي في بغداد من الجانبين: مَن أراد أن يحضرَ عقوبة القرمطيِّ فليحضر، فلم يتخلَّف أحد.

وكان مع القرمطيِّ سبعون أسيراً من أعيان أصحابه، وقيل: بل كانوا ثلاث مئة وعشرين، فعذَّبهم المكتفي بأنواع العذاب، فكان يقطع أيديهم وأرجلَهم من خِلاف وهم على وجوههم، فلمَّا فرغ منهم قدَّم المدَّثِّرَ فضُرب ألف سوط، وكذا المطوَّق وصاحب الشَّامة، وضُربت أعناقُهم، وصُلبت أبدانهم، ثمَّ أُحرقوا.

القاسم بن عُبيد الله الوزير

ولد سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين، ووَزَر للمعتضد والمكتفي، وكان شابًّا غِرًّا، قليلَ الخبرة بالأمور، مُستهلِكاً للمحارم، وإنَّما استوزره المكتفي لأنَّه أخذ له البَيعة، وحفظ عليه الأموال، وهو الذي قتل بَدْراً المعتضديّ.

وكان جباراً ظالماً سفَّاكاً للدِّماء، لا ينام أحد إلَّا وهو على وَجَلٍ منه، وهو الذي حمل المكتفي على قتل عبد الواحد بن الموفَّق؛ ما زال يقول: إنَّه يَروم الخلافة حتَّى قتله، وبان بعد ذلك للمكتفي أنَّه ما كان يروم الخلافة، وأنَّه كان مَشغولاً باللهو، وكان عبد الواحد يتمثَّل بقول العَتَّابي: [من الطويل]

ذَريني تَجئني ميتتي مُطمئنَّة ... ولم أتجشَّم هولَ تلك المواردِ
فإنَّ نَفيساتِ الأُمور مُناطةٌ ... بمُستودَعاتٍ في بطون الأساودِ
وإنَّ الذي يسمو إلى دَرَك العُلى ... مُلَقًّى لأسباب الرَّدى والمكائدِ

فقال المكتفي: قاتلهم الله، قد قلنا لهم إنَّه ما له في الملك أَرَب فلم يسمعوا[1].

وكانت وفاةُ القاسم في ذي القعدة.

وقال الصُّولي: ومن العجائب التي رأيتُها أنَّنا كنَّا نُبكِّر إلى عيادة القاسم كلَّ يوم، فدخلنا يوم الأربعاء الذي توفِّي فيه لستٍّ من ذي القعدة دارَه، فرأينا ابنَيْه أبا عليٍّ وأبا

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

جعفر قد خرجا، فقام النَّاس لهما، ودنا العبَّاس بن الحسن[١] بن أبي أحمد إليهما فقبَّل يديهما، ومات القاسم في بقيَّة اليوم، وخُوطب العبَّاس بالوزارة بإشارة القاسم، فخرج الولدان جميعاً فقبَّلا يده، وكان مَغَلُّ القاسم في كلِّ سنة سبع مئة ألف دينار.

ولما مات فرح النَّاس بموته، وأظهروا الشَّماتة به، فقال [عبد الله بن] الحسن بن سعد[٢] : [من المتقارب]

شَرِبْنا عشيَّةَ مات الوزيرُ ... ونَشربُ يا قوم في ثالثِهْ
فلا قدَّس الله تلك العظامَ ... ولا بارَكَ الله في وارثِهْ

وكان القاسم قد مرض في رمضان، ودام مرضُه، فاستخلف ابن أخيه عبد الوهاب ابن الحسن بن عُبيد الله، فكان يدخل على المكتفي، فاعترض يوماً عليه، فلمَّا خرج من عنده تمثَّل المكتفي: [من الطويل]

ولَمَّا أبى إلَّا جماحاً فؤادُهُ ... ولم يسْلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلِ
تسَلَّى بأُخرى غيرِها فإذا الذي ... تسَلَّى بها تُغري بلَيلى ولا تُسلي[٣]

محمد بن أحمد

ابن البراء بن المُبارك، أبو الحسن، العَبْديُّ.

كان فاضلاً، سمع عليَّ بن المدينيّ وطبقتَه، وروى عنه المَحامليُّ وأقرانُه، وكانت وفاته ببغداد.

جرى بينه وبين القاضي إسماعيل بن إسحاق شيءٌ، فعزم إسماعيلُ على الرُّكوب إليه، فبادره العبديُّ وأنشد: [من الطويل]

صَفَحتُ ابنَ عمِّي فيكَ[٤] صَفْحَ ضَرورةٍ ... إليكَ وفي قلبي نُدُوبٌ من العَتْبِ

---

(١) في (خ): الحسين، والمثبت من المنتظم ١٣/ ٢٨ .

(٢) في (خ): فقال الحسن بن معبد، والمثبت من مروج الذهب ٨/ ٢٢٧ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٢ ، والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٣٠ .

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٧ ، وانظر تاريخ الإسلام ٦/ ١٠٠٠ .

(٤) في تاريخ بغداد ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٦ ، والمنتظم ١٣/ ٢٨ : صفحت برغمي عنك، وانظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/ ١٠٠٨ .

فأنشد إسماعيل: [من الطويل]

ولا زال بـي شَـوقٌ إلـيـك مُـبـرِّحٌ يُـذلِّـل مـنِّـي كـلَّ مُـمْـتَـنِـعٍ صَـعْـبِ

محمد بن محمد بن إسماعيل

ابن شدَّاد، أبو عبد الله، الأنصاريُّ، ويُعرف بالجُذُوعيّ.

كان صالحاً، ورِعاً، دَيِّناً، ثقةً، توفِّي ببغداد في جمادى الآخرة، حدَّث عن عليِّ بن المدينيّ وغيرِه، وروى عنه المحامليُّ وغيرُه.

وقال محمد بن [علي بن الخلال] البصريُّ: أُدخل الشهودُ والقضاةُ بمدينة السلام على المعتمد ليَشهدوا عليه في دَين كان اقترضه عند الإضاقة، وأنفقه على صاحب الزَّنْج، فلمَّا مَثُلوا بين يديه، قرأ عليه إسماعيلُ بنُ بلبل الكتابَ، وقال: تشهد الجماعة على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فشهد واحدٌ بعد واحد، حتَّى بلغ الأمر إلى الجُذُوعيِّ، فأخذ الكتاب بيده وقال: أشهد عليك؟ قال: نعم، قال: لا يصحُّ حتَّى تقول: اشهد، فقال: اشهد.

ثمَّ خرجوا، فقال المعتمد: مَنْ هذا؟ قالوا: القاضي الجُذُوعيّ، قال: أبطَّال هو أم عمَّال؟ قالوا: بطَّال، قال: مثل هذا لا يكون بطَّالاً، فقلَّده القضاء على واسِط، فصار إليها، وكان بها الموفَّق، فاحتاج يوماً إلى مشاورة القاضي، فقال: استَدعُوه، فاستدعَوْه، فجاء وعلى رأسه دَنِّيَّة طويلة[1] ـ وكان قصيرَ العُنُق ـ فدخل دِهليز الموفَّق، فالتقاه غلامٌ وهو مَخمور، وكان مكيناً عند الموفَّق، فوضع يده على قَلَنْسُوةِ القاضي وكبسها، فغاص رأسُه فيها.

ومضى الغلام، فجلس الجُذُوعي موضعَه، وعمد غلامُه ففتقها وأخرج رأسَه منها، فثنى ردَاءه على رأسه، وعاد إلى داره، وأحضر الشُّهود، وسلَّم إليهم قِمَطرَ القضاء، وصرفَهم وأغلق الباب.

وطال على الموفَّق انتظارُه، فأرسل وراءه، فلم يَخرج من داره، وحدَّثوا الرسول بالقصَّة، فجاء فأخبر الموفَّق، فاستدعى صاحبَ الشرطة وقال له: جرِّد الغلامَ،

(١) شرحها محقق نشوار المحاضرة ٢/ ٢٦ أنها عمامة تشبه الدن يتقلدها القضاة.

واحملْه إلى باب القاضي، واضربه ألف سوط، وتوعَّدَه إن لم يفعل.

وكان والد الغلام من جِلَّة القوَّاد، ومحلُّه منهم محلُّ مَن لو همَّ بالعصيان لأطاعه الجيش، فلم يقل شيئاً، وجاء القوَّاد إليه وقالوا له: مُرْنا بأمرك، وترجَّلوا ووقفوا بين يديه، فقال والد الغلام: الأميرُ الموفَّق أشفقُ عليه منِّي، فمشى القوَّاد بأسرهم مع صاحب الشُّرطة والغلام إلى الجُذُوعيِّ، وشفعوا إليه وتضرَّعوا وسألوه، فقال لصاحب الشرطة: لا تضربه، فقال: لا بُدَّ، وما أتجاسَرُ أن أخالِفَ الموفَّق، فركب الجُذُوعيُّ إلى دار الموفَّق، وسأله في الغلام فقال: لا بُدَّ من ضربه، فقال: الحقُّ لي، وقد وهبتُه. فسكت الموفَّق، وعاد الجُذُوعيُّ إلى بغداد[1].

هارون بن موسى بن شَريك

أبو عبد الله، التَّغلِبيُّ، الأخْفَش، المُقرئُ، النَّحْويّ، الشاميُّ.

ولد سنة مئتين، سمع هشامَ بنَ عمَّار وطبقتَه، وكان إماماً في كلِّ فنٍّ وفي القراءات.

قال: دخلنا على أبي مسْهر الغسَّانيِّ نعوده، فقال: [من الطويل]

يَسُرُّ الفتى ما كان قدَّم من تُقًى ... إذا نزل الدَّاءُ الذي هو قاتلُهْ

ولَمَّا مات الأخفشُ جلس مكانه محمد بن نُصير بن أبي حَمْزة، وهذا هو الأخفش الشاميُّ، أمَّا الأخفش البصريُّ فاسمه سعيد بن مَسْعدة، وثَمَّ أخفشُ ثالث نذكره سنةَ خمس عشرة وثلاث مئة[2].

(١) نشوار المحاضرة ٢/ ٥٢ ـ ٢٧ ، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٠ ـ ٣٢ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٤٣ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٧ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٦٢ ـ ١٠٦٣ وقد ذكرا أنه توفي سنة اثنتين وتسعين ومئتين. وينظر النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ .